

مجلة كلية العلوم الإسلامية

العدد
السادس عشر

1999

مجلة إسلامية - ثقافية - جامعية - محكمة - تصدر سنوياً

1429 من ميلاد الرسول ﷺ 1999 إفرنجي

• إقياس والإجماع في نشوء لفقه وتطوره
• تداعي الأمم على الإسلام والمسلمين
• الوحدة المعنوية في القرآن الكريم
• الحضارة وإشكالية المصطلح
• منهج القرآن في بيان الأحكام

اعتكاف

د. عبد السلام محمود أبو ناصح

اعتكاف «افتعال» مصدر للفعل «اعتكف» على وزن «افتعل».

واسم الفاعل منه «معتكف» و«عاكف» ويجمع «معتكف» جمع سلامة على «معتكفين» ويجمع «عاكف» على «عاكفين» قال تعالى: ﴿أَنْ طَهَّرَ بَيْتَ الْطَّائِفِينَ وَالْمُكَفِّينَ⁽¹⁾» ويجمع - أيضاً - على «عكوف» وجمع «فاعل» على «فعول» سماعي. ومنه: سجود وشهود وهجوع وهجود⁽²⁾.

واسم المكان «مُعْتَكَفٌ» يقال: هذا مُعْتَكَفُ فلان: أي مكان اعتكافه.

واسم المفعول «معكوف» يقال: شعر معكوف. أي مشوط مظفي⁽³⁾.

ويرادف كلمة «اعتكف» - في المعنى - كلمة «انعكف» فهما بمعنى واحد. وقيل مختلفان: اعتكف على الخير وانعكف عن الشر⁽⁴⁾.

ومادة «اعتكاف» الأصلية «عَكَفَ» بفتح العين. ومضارعه «يعكِفُ»

(1) سورة البقرة، آية 124.

(2) التحرير والتنوير 713/1.

(3) المنجد: 522.

(4) الخرخشي على مختصر خليل 266/2.

بكسرها من باب «ضرب»، وبضمها من باب «نصر» وبالضم قرىء قوله تعالى: ﴿فَأَتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾⁽⁵⁾ وهي قراءة السبعة. وبالكسر قراءة الأخوين وأبي عمرو في رواية عند الوارث قال أبو حيان: «وهما صحيحتان»⁽⁶⁾.

والفعل «عكف» يأتي متعدياً. ومصدره «عَكَفَ» مثل «ضرب»، ويأتي لازماً.

ومصدره «عكوف» مثل «قعد» و«جلس».

وترد مادة «عكف» في اللسان العربي لعدة معان منها:

* الحبس على الشيء ولزومه: يقال: عكفه على الأمر: حبسه عليه، وألزمه به، واعتكف في المكان تحبّس فيه ولبث. والمعاكفة الملازمة.

* الحبس عن الشيء والصرف عنه: يقال: عكفه عن الأمر: حبسه عنه ومنعه منه، وإنك لتعكفني عن حاجتي: أي تصرفني عنها. قال الفراء: يقال: عكفته أعكفه عكفاً إذ حبسته، وقد عكفت القوم عن كذا. أي: حبستهم، ويقال: ما عكفك عن كذا؟ أي ما حبسك عنه وعكف النظم نضد فيه الجوهر قال الأعشى:

وكان السُّمُوطُ عَكَفَهَا السُّدُ لك بعِظْفِي جِيدَاءَ أُمِّ غَزَالٍ
أي حبسها، ولم يدعها تتفرق. والمعكف المعوّج المعطف. وعكيف: اسم ويشهد لورود مادة «عكف» بمعنى الحبس قوله تعالى: ﴿وَالْمَدَى مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾⁽⁷⁾ فإن معنى «معكوفاً» في الآية الكريمة - محبوس. كما قال مجاهد وعطاء.

(5) سورة الأعراف، الآية: 138.

(6) البحر المحيط 5/157.

(7) سورة الفتح، الآية: 25 وانظر تهذيب اللغة 1/321.

* الإقبال على الشيء: يقال: عكف على الشيء عكوفاً. أقبل عليه. قال الليث: يقال: عَكَفَ يَعْكُفُ وَيَعْكُفُ. عَكُفًا وَعَكُوفًا. وهو إقبالك على الشيء، لا ترفع عنه وجهك، وقال العجاج يصف ثوراً

فهن يعكفن إذا جحا عكف النبيت يلعبون الفنزجا⁽⁸⁾

فإن معنى «يعكفن» في البيت «يقبلن» وقال الشاعر:

وظل بنات الليل حولي عَكُفا عكوف البواكي بينهن صريع
ويقال: عكفت الخيل بقائدها: إذا أقبلت عليه، ويقال: فلان عاكف على فرج حرام. أي مقبل عليه.

* الإقامة على الشيء وملازمته والمواظبة عليه: يقال: قوم عكوف. أي مقيمون. قال أبو ذؤيب يصف الأثافي

فهن عكوف كنوح الكريـم قد شف أكبادهن الهوي⁽⁹⁾

فمعنى «عكوف» في البيت «مقيمات» ومن هذا المعنى:

1 - قوله تعالى: ﴿وَلَا تُبْشِرُوا مَنَ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ﴾⁽¹⁰⁾ فإن المفسرين - وغيرهم من أهل اللغة - قالوا: معنى: «عاكفون في المساجد» مقيمون فيها لا يخرجون منها إلا لحاجة الإنسان. يصلون فيها، ويقرأون القرآن، ويقال لمن لازم المسجد، وأقام على العبادة عاكف ومعتكف.

2 - وقوله تعالى: ﴿قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾⁽¹¹⁾ فمعنى «عاكفين» مقيمون.

(8) الفنزجة والفنزج - بفتح الفاء وسكون النون -: رقص العجم إذا أخذ بعضهم يد بعض وهم يرقصون. الجامع لأحكام القرآن - القرطبي 114/2 وها مشها.

(9) تهذيب اللغة 1/322.

(10) سورة البقرة، الآية: 186.

(11) سورة طه، الآية: 90.

- 3 - وقوله تعالى: ﴿وَأَنْظِرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا﴾⁽¹²⁾ أي مقيماً.
- 4 - وقوله تعالى: ﴿فَأَتُوا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ﴾⁽¹³⁾ فإن معنى «يعكفون على أصنام» يقيمون.
- 5 - ما روي من أنه ﷺ كان يعتكف في العشر الأواخر في المسجد، أي يقيم فيه يصلي، ويقرأ ولا يخرج منه إلا لحاجة⁽¹⁴⁾.
- * الاستدارة حول الشيء: يقال: عكف القوم حوله. إذا استداروا، ومنه قولهم: «عكف الطير حول القنبل، وعكف الجوهر في النظم: استدار، أنشد ثعلب:

تذب عنه كف بها رمق طيراً عكوفاً كزور العرس
يقصد بالطير - هنا - الذبان. فجعلن طيراً، وشبه اجتماعهن - للأكل -
باجتماع الناس للعرس.

* ومعنى الاعتكاف - شرعاً - حبس النفس في مكان للعبادة ولزومها طاعة مخصوصة في وقت مخصوص على شرط مخصوص في موضع مخصوص بنية التقرب إلى الله تعالى.

وقد عرّفه ابن عرفة بأنه: لزوم مسجد مباح لقربة قاصرة بصوم معزوم على دوامه يوماً وليلة سوى وقت خروجه لجمعة أو لمعيّنه الممنوع فيه⁽¹⁵⁾.

والمناسبة بين المعنى الشرعي والإطلاقات اللغوية لمادة «عكف» واضحة. هذا والاعتكاف من الشرائع القديمة⁽¹⁶⁾. وهو قربة من القرب وناقلة من النوافل التي فعلها رسول الله ﷺ وأصحابه وأزواجه. وليس واجباً باتفاق

(12) سورة طه، الآية: 97.

(13) سورة الأعراف، الآية: 138.

(14) انظر: لسان العرب 11/ 161 وتهذيب اللغة 1/ 322.

(15) الحدود بشرح الرصاع ص 90 - المطبعة التونسية بنهج سوق البلاط - الطبعة الأولى 1350هـ.

(16) البحر المحيط 2/ 220.

العلماء، ولا يكون إلا في المسجد لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَبْشُرُوهُمْ وَأَنْتُمْ عَنْكَفُونَ فِي الْمَسْجِدِ﴾.

والخلاف بين الفقهاء إنما هو في صفة المسجد. والتحقيق أنه مطلق مسجد، ولا يشترط أن يكون جامعاً⁽¹⁷⁾.

المراجع

- القرآن الكريم.
- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف - الناشر: مكتبة الإيمان - بريدة السعودية.
- التحرير والتنوير. محمد الطاهر بن عاشور - الدار التونسية للنشر.
- تهذيب اللغة. الأزهري أبو منصور محمد بن أحمد، تحقيق. محمد علي التجار - الدار المصرية للتأليف والترجمة.
- الجامع لأحكام القرآن الكريم. القرطبي. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري - الناشر: دار الكتاب العربي.
- الحدود. ابن عرفة. أبو عبد الله محمد - المطبعة التونسية - بنهج سوق البلاط - الطبعة الأولى سنة 1350هـ.
- حاشية الصاوي على الشرح الصغير - مطبعة حجازي بالقاهرة.
- الكشف. الزمخشري - أبو القاسم جار الله محمود بن عمر - الطبعة الثانية - المطبعة الكبرى الأميرية ببولاق سنة 1318هـ.
- لسان العرب. ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم الأنصاري المؤسسة المصرية العامة للتأليف والأنباء والنشر - الدار المصرية للتأليف والترجمة - طبعة مصورة عن طبعة بولاق.
- المنجد في اللغة والأدب والعلوم. لويس معلوف - المطبعة الكاثوليكية - بيروت.

(17) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي 333/2 والكشاف للزمخشري 250/1 والتحرير والتنوير لابن عاشور 185/2 والشرح الصغير لأحمد الدردير 200/1 ومعه حاشية الصاوي ونيل الأوطار 4/278 وما بعدها.

- نيل الأوطار. الشوكاني. محمد بن علي بن محمد - مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.
- الشرح الصغير - أحمد الدردير - مطبعة حجازي بالقاهرة.
- شرح الخرشي: أبو عبد الله محمد - علي مختصر خليل - الطبعة الثانية - المطبعة الكبرى الأميرية - بمصر - 1317هـ.
- شرح الرصاع أبو عبد الله محمد الأنصاري على حدود ابن عرفة.